أسلوب النَّفي في المعلَّقات السبع
دراسة مقارنة

د.عصام الكوسى

ملخَّص البحث

أسلوب النفي من الأساليب العربية التي تتخذ من الأدوات وسيلة لإظهار الغرض منها، وقد حظي هذا الأسلوب باهتمام علماء العربية نحويين وبلاغيين، فبيَّنوا أنَّ تعدد أدواته ليس ترفاً لغوياً كما يظنُّ مَنْ لم يخبر العربية ومعانيها.

سأتناول في هذا البحث أسلوبَ النفي في العربية عبر عقد مقارنة بين هذه الأدوات، ولاسيما "ما" و"لا" النافيتان موضحاً نقاط الالتقاء ونقاط الاختلاف.

وكيلا يبقى البحث في إطار نظري صرْف لجأتُ إلى شعر المعلقات السبع متَّخذهُ وسيلةً للاحتجاج والمقارنة، لما يتمتع به هذا الشعر من قوة في السبك ورصانة في الأسلوب.

Negation in *Al-Mualakat Al-Sabaa*: A comparative Study

Dr. Issam Al-Kousa

Negation is one of the most important Arabic styles which depend on the terms of negation as a means to show its aim. This style is given a lot of attention by intellectuals of Arabic who show that the variety of these terms is not a linguistic luxury.

When Arab linguists used these terms, they didn't use them carelessly, but the meaning was having an important role in determining the required use of each of them because every term has its special meaning.

It seems that there is a clear difference between these terms like ' lam ' and ' lan '. It seems that linguists do not concentrate deeply on the other terms in showing the differences between these terms like ' ma ' and ' la ' , so the proposed research intends to deal with the style of negation in *Al-Mualakat Al-Sabaa*through making a comparison between these terms particularly ' ma ' and ' la ′ depending on Al-Mualakat Al-Sabaa as a means of comparison because of the importance of this book in its power of expression and perfection of style.

مقدمة:

أسلوب النفي أحدُ الأساليبِ العربية التي تتخذ من الأدوات وسيلةً لإظهار الغرض منها، وقد حظي هذا الأسلوب باهتمام علماء العربية نحويين وبلاغيين، فبيَّنوا أنَّ تعدد أدواته ليس ترفاً لغوياً كما يظنُّ مَنْ لم يخبرِ العربية ومعانيها.

إنَّ العربَ حينما استخدموا هذه الأدوات لم يستعملوها كيفما اتفق، بل كان للمعنى دورٌ مهمٌ في تحديد الأداة الواجب استخدامها، فلكل أداة معنًى خاصٌ بها، وإن كان هناك سلكٌ واحدٌ ينظمُ هذه الأدوات، وهو الجحْدُ والإنكار.

يبدو الفرق واضحاً بين بعض هذه الأدوات، مثل: "لم" و "لن" بيد أنَّ بعضها الآخر لم يتعمَّق النحاةُ في تبيين الفروقات بينها، ومنها الأداتان "ما" و"لا" لذا أحببت أن أتناول أسلوب النفي عبر عقد مقارنة بين هذه الأدوات، ولاسيما "ما" و"لا" النافيتان موضحاً نقاط الالتقاء ونقاط الاختلاف.

وكيلا يبقى البحث في إطار نظري صرف لجأت إلى شعر المعلقات السبع متخذاً منه وسيلةً للاحتجاج والمقارنة، لِمَا يتمتعُ به هذا الشعر من قوة في السبك ورصانة في الأسلوب.

وسأبدأ هذا البحثِ بحديثٍ موجزٍ عن هذه المعلقات لنعرفَ السَّببَ الذي جعل أشعارَ المعلَّقاتِ محطَّ أنظار اللغويين والنحويين من دون غيرها من الأشعار، ومن ثمَّ سأعرِّف النفيَ لغةً واصطلاحاً؛ لأنتقل بعد ذلك إلى الحديث عن نَوْعَي النفي، أعني النفيَ الصَّريحَ الذي يهتم به النحويون، والنفيَ الضَّمنيَ الذي يتناوله البلاغيون، وسأبيِّن أدوات كل نوع. وسأنتقل بعد ذلك إلى الحديث عن أنواع أدوات النفي الصريح، فمنها ما جاء فعلاً، وهو "ليس"، ومنها ما جاء اسماً، وهو "غير"، ومنها ما جاء حرفاً. وسأذكر هذه الحروف كلها، ومن ثمَّ سأتوقف وقفة مطوَّلة عند حرفين منها؛ وهما: "لا" و"ما" مبتدئاً بـ "لا" مبيِّناً أنواعها الخمسة وأهمّ سماتها التي تنفرد بها، ومن ثمَّ سأنتقل إلى الحديث عن "ما" بنوعيها الحجازية والتميمية، مبيِّناً أهم سماتها التي تنفرد بها.. وبعد ذلك سأعقد مقارنة بين الحرفين، لأبيِّن نقاطَ التشابهِ بينهما ونقاطَ الاختلاف.

شعر المعلقات في الاحتجاج النحويّ:

المعلّقات لغة: من العلق، والعِلْق: المال الكريم. ويقال: فلان عِلْقُ علمٍ وتِبْعُ علمٍ وطلْب علمٍ. والعِلْق، بالكسر: النفيس من كل شيءٍ. وفي حديث حذيفة: فما بال هؤلاء الذين يسرقون أَعْلاقَنا؛ أَي: نفائس أَموالنا، الواحد عِلْق، بالكسر،سمي به لتَعَلُّقِ القلب به. والعِلْقُ أَيضاً: الخمر لنفاستها، وقيل: هي القديمة منها.[1]

المعلّقات اصطلاحاً: قصائد جاهليّة بلغ عددها السبع أوالعشر.قام باختيارها وجمعها راوية الكوفة حمَّاد (ت156هـ)، وهذه القصائد تتسم بطول نفسها الشعري وجزالة ألفاظها وثراء معانيها.

والناظر إلى المعنيين اللغويوالاصطلاحي يجدالعلاقة واضحة بينهما، فهي قصائد نفيسة ذات مكانةكبيرة، بلغتالذّروة في اللغة، وفي الخيال والفكر، وفي الموسيقى وفي نضج التجربة، وأصالةالتعبير، فكلُّ قصيدةٍ منها عِلْقٌ، والعلقُ هو القلادة النفيسة التي تعلق على جياد النساء.

وفي سبب تسميتها بالمعلقات أقوال عدة، أشهرها ما قاله ابن عبد ربه في العقد الفريد: "كان الشعرُ ديوانَ خاصةِ العربِ.... حتى بلغ من كلف العرب به وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تخيّرتها منالشعر القديم، فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة، وعلّقتها بين أستار الكعبة، فمنه يقال: مذهّبة امرئ القيس، ومذهّبة زهير، والمذهّبات سبع، وقد يقال: "المعلّقات"[2].

ويؤيّد ذلك أيضاً ما رواه البغدادي في خزانته من قول معاوية: قصيدة عمرو بن كلثوم وقصيدة الحارث بن حلزة من مفاخر العرب كانتامعلّقتين بالكعبة دهراً[3].

---

[1]لسان العرب لابن منظور (علق).

[2]العقد الفريد لابن عبد ربه 118/6. والقُبْطِيَّة: ثياب كتان بيض رِقاق تعمل بمصر وهي منسوبة إلى القِبْط على غير قياس، والجمع قُباطِيٌّ.

[3] خزانة الأدب للبغدادي519/1.

ولم يختلفوا في تسميتها فحسب، بل اختلفوا في عددها وأسماء شعرائها؛ فمنهم من قال: إنها سبع كابن عبد ربه (ت 328هـ)، وتبعه في ذلك الزوزني (ت 486هـ)[1]، ومنهم من قال: إنها عشر كالتبريزي (ت 502هـ) الذي عنونَ شرحَه لهذه القصائد بـ"شرح القصائد العشر"، ولكنَّ الذي اتفق عليه معظم الرواة والشرَّاح أنها سبع، وهي:

1- معلقة امرئ القيس:

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ بِسِقطِ اللِوى بَينَ الدَخولِ فَحَومَلِ

2- معلقة زهير بن أبي سلمى:

أَمِن أُمِّ أَوفى دِمنَةٌ لَم تَكَلَّمِ بِحَومانَةِ الدُرّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ

3- معلقة طرفة بن العبد:

لِخَولَةَ أَطلالٌ بِبُرقَةِ ثَهمَدِ تَلوحُ كَباقي الوَشمِ في ظاهِرِ اليَدِ

4- معلقة عنترة بن شداد:

هَل غادَرَ الشُعَراءُ مِن مُتَرَدَّمِ أَم هَل عَرَفتَ الدارَ بَعدَ تَوَهُّمِ

5- معلقة عمرو بن كلثوم:

أَلا هُبّي بِصَحنِكِ فَاصبَحينا وَلا تُبقي خُمورَ الأَندَرينا

6- معلقة لبيد بن ربيعة:

عَفَتِ الدِيارُ مَحَلُّها فَمُقامُها بِمَنىً تَأَبَّدَ غَولُها فَرِجامُها

7- معلقة الحارث بن حِلّزة:

آذَنَتنا بِبَينِها أَسماءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ مِنهُ الثَواءُ

إنَّ المعلقاتِ تمثلُ مرحلةً من مراحل نضج التفكير اللغوي عند العرب، الأمر الذي دفع علماء اللغة، ولاسيما النحويون، إلى الاهتمام بها، فقلَّما يخلو مصنف نحوي من بعض أشعارها، وخيرُ دليلٍ على ذلك كتاب سيبويه الذي احتج فيه بعدد لا بأسَ به من أشعارها.

---

[1] شرح المعلقات السبع ص2.

النفي لغة واصطلاحاً:

لغة: قال ابن منظور: ونفى الشيءَ نفياً جحده. والنفيُ الإنكارُ، وهو نقيض الإثبات[1].

اصطلاحاً: أسلوبٌ خبريٌ يرادُ به نقض القول وجحده، وقال الجرجاني: "هو ما لا ينجزم بلا، وهو عبارة عن الإخبار عن ترك الفعل"[2].

أقسامه:

يقسم النفي قسمين، النفي غير الصريح و النفي الصريح.

أولاً.. النفي غير الصريح: وهو الذي اهتم به البلاغيون، ويتمُّ بأدوات أخرى غير أدوات النفي المعروفة، فقد يحدث من خلال الدلالة المعجمية، أو من خلال الاستفهام الإنكاري بإحدى أدوات الاستفهام، أو من خلال أدوات الشرط الامتناعية، أو من خلال أسلوب التمني.

أ –النفي من خلال الدلالة المعجمية: ذهب ابن فارس إلى أنَّ أفعالَ الظنِّ تفيدُ نفيَ درجةِ اليقين، حيث قال: "ومن الخصائص في الأفعال قولهم: ظننتني وحسبتني وخلتني، لا يقال إلا فيما فيه أدنى شك"[3]، ومن ذلك قول عنترة: [4]

وَلَقَد نَزَلتِ فَلا تَظُنّي غَيـرَهُ مِنّي بِمَنزِلَةِ المُحَبِّ المُكـرَمِ

وقول زهير:[5]

وَمَن يَغتَرِب يَحسِب عَدُوّاً صَديقَهُ وَمَن لا يُكَرِّم نَفسَهُ لا يُكـرَّمِ

وقوله:[6]

وَمَهما تَكُن عِندَ اِمرِئٍ مِن خَليقَةٍ وَإِن خالَها تَخفى عَلى الناسِ تُعلَمِ

---

[1] اللسان (نفي).

[2] التعريفات للجرجاني ص 245.

[3] الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ص204 .

[4] شرح المعلقات السبع ص162.

[5] شرح المعلقات السبع ص102.

[6] شرح المعلقات السبع ص103.

ب – النفي من خلال الاستفهام الإنكاري: كقوله تعالى: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإحْسَانِ إلاَّ الإحْسَان**﴾[1]، وكقوله تعالى: ﴿**وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ اللهُ**﴾[2]، وكقولنا: "كيفَ أخافُ الفقرَ وعينُ اللهِ ترعاني"، فالاستفهام في هذه الأمثلة لا يراد به معناه الحقيقي، وإنَّما يرادُ به النفي، ومن ذلك قول عنترة:[3]

هلْ غادرَ الشُّعراءُ منْ متردَّمِ أمْ هلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بعدَ توهمِ

فمعنى البيت يدلُّ على أنَّ الشعراءَ لم يتركوا طللاً إلاَّ وقفوا عليه، وكقول لبيد: [4]

فَوَقَفْتُ أَسأَلُها وَكَيفَ سُؤالُنا صُمّاً خَوالِدَ ما يُبينُ كَلامُها

ج– النفي من خلال أدوات الشرط الامتناعية:

الامتناع مظهرٌ من مظاهر النفي في العربية، وأدوات الشرط الامتناعية هي (لو، لولا، لوما)، ولم يرد منها في المعلقات سوى (لو)، وهي حرف امتناع لامتناع، كقول عنترة: [5]

لَو كانَ يَدري ما المُحاوَرَةُ اِشتَكى وَلَكانَ لَو عَلِمَ الكَلامَ مُكَلِّمي

فالشاعر ينفي ضمنياً أنَّ فرسه يعلم الكلام ويتقن الحوار، وكقول طرفة: [6]

فَلَو كُنتُ وَغلاً في الرِجالِ لَضَرَّني عَداوَةُ ذي الأَصحابِ وَالمُتَوَحِّد

وكقوله: [7]

فَلَو كانَ مَولايَ اِمرَأً هُوَ غَيرَهُ لَفَرَّجَ كَربي أَو لأنظرني غَدي

فطرفة يصرّح أنَّ مولاه لم يتغير، ولذا لم تتغير معاملته له، فلو حصل ذلك لتبدلت الأمور، فهو من خلال الشرط الامتناعي ينفي تبدّل أحواله.

---

(1) الرحمن 60/55.

(2) آل عمران3/ 135.

(3) شرح المعلقات السبع ص160.

(4) شرح المعلقات السبع ص109.

(5) شرح المعلقات السبع ص180 .

(6)شرح المعلقات السبع ص74.

(7) شرح المعلقات السبع ص74.

د- النفي من خلال أسلوب التمني: فالتمني يعني طلبَ شيءٍ لم نحصلْ عليه أو يكون من الصعب حصوله، كقوله تعالى: ﴿**يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ**﴾ [1].

ثانياً.. النفي الصريح:وهو الذي تعارف عليه النحاة، ويتم بأداة من أدوات النفي المعروفة.

تقسم أدوات النفي الصريح إلى ثلاثة أنواع، فعلية واسمية وحرفية.

أدوات النفي الفعلية: وتتضمن فعلاً واحداً، هو" ليس "، وهو يفيد معنى النفي ويختص بالدخول على الجملة الاسمية، فينفي اتصافَ الاسمِ بالخبر من جهة المعنى، ويرفعُ الأولَ وينصبُ الثاني من جهة العمل، وهو يعملُ من دون قيد، وورد في المعلقات في أربعة عشر موضعاً، كقول الحارث بن حلزة:[2]

لَـــيسَ مِنّـــا المُضَـــرَّبونَ وَلا قَـــي (م) سٌ وَلا جَنـــــــدَلٌ وَلا الحَـــــــدَّاءُ

وقد جاء خبرها في أحد عشر موضعاً مقروناً بالباء لتوكيد النفي، كقول طرفة:[3]

وَلَســـتُ بِحَـــلاَّلِ الـــتِلاعِ مَخافَـــةً وَلَكِـــن مَتـــى يَســـتَرفِدِ القَـــومُ أَرفِـــدِ

وكقول امرئ القيس:[4]

ضَـــليعٍ إِذا اِســـتَدبَرْتَهُ سَـــدَّ فَرجَـــهُ بِضَـــافٍ فُوَيـــقَ الأَرضِ لَـــيسَ بِـــأَعزَلِ

وذهب الفارسي في الحلبيات إلى أنَّ "ليس" قد تأتي حرفَ نفيٍ غيرَ عاملٍ[5]، وقال ابن مالك: "حكى أبو محمد بن السيد أنَّ أبا عمرو بن العلاء أخبر أن بني تميم يقولون: "ليس الطيبُ إلاَّ المسكُ" بالرفع، وأنَّ تكلمهم بذاك وأمثاله ذائع، وقد أشار سيبويه إلى أن من العرب من يجري ليس مجرى "ما"[6]، كقول الحارث بن حلزة:[7]

لَـــيسَ يُنجـــي مُـــوائِلاً مِـــن حِـــذارِ رَأسُ طَـــــودٍ وَحَـــــرَّةٌ رَجـــــلاءُ

---

[1] القصص 79/28 .

[2] شرح المعلقات السبع ص196.

[3] شرح المعلقات السبع ص65.

[4] شرح المعلقات السبع ص36.

[5] المسائل الحلبيات 220-224.

[6] شرح الكافية الشافية425/1، وانظر الكتاب73/1.

[7] شرح المعلقات السبع ص190.

أدوات النفي الاسمية: وتتضمن اسماً واحداً؛ هو "**غير**" إذ ذهب بعضُ النحاة إلى أنَّ "غير" اسم يفيد نفي الاسم الواقع بعده، ويعربُ وفق موضعه في سياق الكلام، وهو مضاف، وما بعده مضاف إليه مجرور دائماً، كقوله تعالى:﴿**وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[1].

وقد جاء في اللسان: "(غير) من حروف المعاني، تكون نعتاً، وتكون بمعنى"لا".[2] وقال الفرّاء:" وأمَّا قوله تعالى: ﴿**غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالّينَ**﴾[3] فإنَّ معنى "غير" معنى "لا"؛ ولذلك ردّت عليها "ولا" ، هذا كما تقول: فلان غيرُ محسنٍ ولا مُجْمِل، وإذا كانت "غير" بمعنى "سوى" لم يجز أن تردَّ عليها "لا" ألا ترى أنه لايجوز: عندي سوى عبد الله ولا زيدٌ". [4]

وقال برجستر آسر: "وأمَّا (غير) فهي اسم معناه مختلف عن الشيء الذي أضيفت إليه، فالشيء الموصوف بها ليس بالشيء المضاف إليه، وهذا هو معنى النفي، ومما يظهر أنّ (غير) تعدُّ بين أدوات النفي: عطفُ (ولا) عليها، نحو: ﴿**غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالّينَ**﴾".[5]

وقد وردت "غير" بمعنى "لا" النافية في عدة مواضع، كقول امرئ القيس: [6]

فَبـــاتَ عَلَيـــهِ سَـــرجُهُ وَلِجامُـــهُ وَبـــاتَ بِعَينـــي قائِمـــاً غَيـــرَ مُرسَـــلِ

وقوله: [7]

مُهَفهَفَـــةٌ بَيضـــاءُ غَيـــرُ مُفاضَـــةٍ تَرائِبُهـــا مَصـــقولَةٌ كَالسَـــجَنجَلِ

---

[1] البقرة2/ 212.

[2]اللسان (غير) .

[3] الفاتحة1/ 7.

[4] معاني القرآن للفراء8/1.

[5] التطور النحوي ص171.

[6]شرح المعلقات السبع ص40.

[7] شرح المعلقات السبع ص19.

وقد وردت في عدة مواضع مسبوقة بحرف جر، وهي تختلف في هذا الأمر عن "لا" النافية التي تسبق غالباً بحرف الجر الباء، فقد سبقت بـ"على" كقول طرفة: [1]

عَلـى غَيـرِ ذَنـبٍ قُلتُـهُ غَيـرَ أَنَّنـي نَشَـدتُ فَلَـم أُغفِـل حَمولَـةَ مَعبَـدِ

وسبقت باللام في قول عنترة:[2]

لَمّـا رَآنـي قَـد نَزَلـتُ أُريـدُهُ أَبـدى نَواجِـذَهُ لِغَيـرِ تَبَسُّـمِ

أدوات النفي الحرفية: يبلغ عدد حروف النفي سبعة أحرف؛ **وهي: ((إنْ،لا النافية،لات، لم، لما الجازمة، لن الناصبة، ما)).**

ثمَّة أربعة أحرف من حروف النفي لم ترد في شعر المعلقات، وهي:

1- "إن" النافية: مذهب أكثر البصريين والفرَّاء أنها لا تعمل شيئا، ومذهب الكوفيين خلا الفراء أنها تعمل عمل ليس، وقال به من البصريين أبو العباس المبرد وأبو بكر بن السراج وأبو علي الفارسي وأبو الفتح بن جني.[3]

2- "لات": قيل إنَّ"لات" هي لا النافية زيدت عليها تاء التأنيث مفتوحة ومذهب الجمهور أنها تعمل عمل ليس فترفع الاسم وتنصب الخبر لكن اختصت بأنها لا يذكر معها الاسم والخبر معا، بل إنما يذكر معها أحدهما، والكثير حذف اسمها وبقاء خبرها،كقوله تعالى: ﴿**وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ**﴾[4]بنصب الحين فحذف الاسم وبقي الخبر، والتقدير ولاتَ الحينُ حينَ مناصٍ.

3- "لما" الجازمة: تختص بالمضارع فتجزمه، وتنفيه وتقلبه ماضياً كـ"لمْ"، إلاَّ أنها تفارقها في أمور عدة.[5]

---

[1] شرح المعلقات السبع ص73.

[2] شرح المعلقات السبع ص176.

[3] المقتضب 10/1، الأصول فيالنحو236/1، سرصناعةالإعراب377/1.

[4] ص3/38.

[5] للاستزادة انظر مغني اللبيب ص367-368.

4-" لن":هي حرف نفي ينصب المضارع ويخلصه للاستقبال، وقال ابن عصفور: " يكون النفي بـ(لا) آكد من النفي بـ(لن)؛لأنَّ النفي بـ(لا) قد يكون جواباً للقسم ، والنفي بـ(لن) لايكون جواباً له، ونفي القعل إذا أقسمت عليه آكد ".

ومن الملاحظ أنَّ هذه الأدوات الأربع لم يستعملها شعراء المعلقات في معلقاتهم، بل إنَّ بعضهم لم يستعملها في شعره البتة، كامرئ القيس وعنترة وطرفة بن العبد وعمرو بن كلثوم، أمَّا زهير فقد استعمل "لمَّا" الجازمة مرة واحدة في ديوانه، وهو قوله:

كَـأَنَّ ريقَتَهـا بَعـدَ الكَـرى اِغتُبِقَـت مِـن طَيِّـبِ الـراحِ لَمّـا يَعـدُ أَن عَتُقـا

واستعمل "لن" الناصبة مرة واحدة أيضاً، وهو قوله:

فَقُلنـا يـالَ أَشـجَعَ لَـن تَفوتـوا بِنَهـبِكُمُ وَمِرجَلُنـا يَفـورُ

وهذا الأمر يدلّل على أن هذه الأدوات لم تكن رائجة في ذاك العصر, ورُبّما يكون السبب شيئاً آخر لم يقف عنده علماء اللغة.

وأمَّا الأحرف النافية التي استعملها شعراء المعلقات فهي: " لم" و"لا" و"ما".

أولاً.."لم": حرف جزم لنفي المضارع وقلبه ماضيا، نحو قوله تعالى:﴿**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ**﴾[1]، وهذه الأداة أكثر أدوات النفي وروداً في شعر المعلقات ،فقد وردت في ثمانية وأربعين موضعاً جازمة للفعل المضارع، كقول طرفة:[2]

إذا القَـومُ قـالوا مَـن فَتـىً خِلـتُ أَنَّنـي عُنيـتُ فَلَـم أَكسَـل وَلَـم أَتَبَلَّـدِ

وكقول زهير : [3]

فَشَـدَّ وَلَـم تَفـزَع بُيـوتٌ كَثيـرَةٌ لَـدى حَيـثُ أَلقَـت رَحلَهـا أُمُّ قَشـعَمِ

وجاءت في موضع واحد مقرونة بـ"إن" الشرطية الجازمة، وهو قول لبيد:[4]

لِتَـذودَهُنَّ وَأَيقَنَـت إِنْ لَـم تَـذُد أَن قَـد أَحَـمَّ مَـعَ الحُتـوفِ حِمامُهـا

---

[1]الإخلاص 112/ 3.

[2]شرح المعلقات السبع ص64.

[3]شرح المعلقات السبع ص96.

[4]شرح المعلقات السبع ص126.

واختلف النحاة في "لم" المقترنة بـ"إن" الشرطية، إن كانت هي الجازمة للفعل أو "إن"الشرطية، فبعضهم يجعلها نافية وحسب، وبعضهم يجعلها هي الجازمة ولكن يبطل عملها في رد الفعل المضارع إلى معنى المضي، قال العكبري: " و(لم)حكمها أن تزُدَّ لفظ الفعل المستقبل إلى معنى المضيّ فإن دخلت عليها(إن) الشرطية بطل الردُّ وغلبه معنى الشرط كما لو وقع بعد الشرط لفظ الماضي، والجزم بـ(لم) لابـ(إن)؛لأنَّ(لم) قد ثبت أنها عاملة قبل دخول(إن) بلا خلاف"[1].

أمَّا إذا سبقت (لم) بـ(إذا) الشرطية غير الجازمة فهي حرف جزم ونفي فقط بلا خلاف, ولا تقلب زمن الفعل إلى الماضي, لأنَّ (إذا) تدل على المستقبل.

ثانياً.."لا" النافية: هي أقدم أدوات النفي في العربية، فقد قال برجستر آسر: "وأمَّا النفي فأقدم أدواته (لا) ... وقد اشتقت العربية من (لا) أدوات أخرى للنفي لا توجد في سائر اللغات السامية إلا "ليس"... والعربية لم تقتصر على اشتقاق حروف النفي من (لا) بل اخترعت له بعض أدوات جديدة؛ وهي "ما" و"إنْ" و"غير"[2].

إنَّ قول برجستر آسر بحاجة إلى دليل يؤكده، وذهاب بعض النحاة إلى أنَّ "لات" مكونة من "لا" النافية والتاء ليس دليلاً قاطعاً على أسبقية "لا"، وربما استند برجستر آسر في قوله إلى كثرة دوران هذه الأداة في كلام العرب، وذكر ابن هشام لها خمسة أوجه.[3]

وقد وردت في أربعة وخمسين موضعاً،في موضعين نافية للجنس،وفي اثنين وخمسين موضعاً نافية غير عاملة.

الوجه الأول.. أن تكون عاملةً عمل(إنَّ):وذلك إن أريد بها نفي الجنس على سبيل التنصيص، والنفي بها أوْكد من النفي بـ"لا" غير العاملة؛ لأنَّ نفي الأولى هو نفي الجمع ،أما نفي الثانية فله احتمالان الحاضر والمستقبل.

وقد اشترط لإعمالها شروط عدة، فهي لا تعمل في المعرفة، وما يأتي معرفة مؤوَّل بنكرة، كقولهم: "قضيةٌ ولا أبا حسنٍ لها".[1]

---

[1] إعراب لامية للشنفرى 102/1

[2] التطور النحوي لـ برجستر آسر ص 168-170.

[3]مغني اللبيب ص313 وما بعدها.

ولاسمها وجهان من الإعراب، فهو مبني إذا كان مفرداً غير عامل، كقولنا: "لا رجلَ في البيت". ويكون معرباً إذا كان مضافاً، نحو: "لا رجلَ سوءٍ بيننا"، أو شبيهاً بالمضاف، نحو: "لاحسناًفعلُهُمذمومٌ"،أو"لاطالعاًجبلاًحاضرٌ". والشاهدان الآتيان يحتمل فيهما اسم "لا" الوجهين، وهما قول زهير:[2]

سَـئِمتُ تَكـاليفَ الحَيـاةِ وَمَـن يَعِـش ثَمـانينَ حَـولاً لا أَبـا لَـكَ يَسـأَمِ

وقول امرئ القيس:[3]

أَلا رُبَّ يَـومٍ لَـكَ مِـنهُنَّ صـالِحٌ وَلا سِـيَّما يَـومٍ بِـدارَةِ جُلجُـلِ

وجوز الأخفش حذفها، قال ابن هشام: "حكى الأخفش "لا رجلَ وامرأةَ" فحذفت "لا" وبقي البناء للتركيب بحاله"[4].

الوجه الثاني: أن تكون نافية غير عاملة، وهي حرف موضوع لنفي المستقبل، قال الهروي: "واعلم أنَّ "لا" لنفي المستقبل و"ما" لنفي الحال والاستقبال جميعاً، فإذا قال القائل: هو يفعلُ، يعني في المستقبل، قلتَ: لا يفعلُ، وإذا قال: هو يفعل يعني أنَّه في حال الفعل قلت: ما يفعل، ولا نقول : لا يفعلُ؛ لأنَّ "لا" موضوعة لنفي الفعل المستقبل لاغير".[5]

وقال: "وتدخل على الجملتين الاسمية والفعلية، فإذا دخلت على الجملة الاسمية التي صدرها معرفة أو نكرة ولم تعمل بها وجب أن تكرر، كقوله تعالى:﴿**لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾[6]

وكقول زهير:[7]

---

[1]انظر شرح ابن عقيل2/5-6.

[2]شرح المعلقات السبع ص99.

[3]شرح المعلقات السبع ص7.

[4]مغني اللبيب ص 834.

[5]الأزهية في علم الحروف ص150، وانظر حروف المعاني للزجاجي ص8،شرح المفصل 4/107-108.

[6]يس36/40.

[7] شرح المعلقات السبع ص99.

كِـرامٍ فَـلا ذو الضـغنِ يُـدرِكُ تبلَـهُ وَلا الجـارمُ الجـاني عَلَـيهِم بِمُسـلَمِ

وقول الحارث بن حلزة:[1]

ثُـمَّ خَيـلٌ مِـن بَعـدِ ذاكَ مَـعَ الغَـلاّ (م) قِ لا رَأَفَـــــــــةٌ وَلا إِبقـــــــــاءُ

وإذا دخلت على الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي وجب أنْ تكرَّرَ، كقوله تعالى:﴿**فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى**﴾[2].

وقال الزجاجي: "وقبيحٌ دخولها على الماضي لئلا تشبه الدعاء".[3] وإذا لم تكرر دلت على الدعاء، كقول النابغة:[4]

مـا قُلـتُ مِـن سَـيِّئٍ مِمّـا أَتَيـتَ بِـهِ إِذاً فَـلا رَفَعَـت سَـوطي إِلَـيَّ يَـدي

ويجب تكرارها إذا دخلت على مفرد خبرٍ، نحو: "زيدٌ لا كاتبٌ ولا شاعرٌ"، أو حالٍ، نحو: "جاء زيدٌ لا ضاحكاً ولا باكياً"، أو صفةٍ،[5]كقوله تعالى: ﴿**إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ**﴾[6]، وكقول الحارث بن حلزة: [7]

ثُـمَّ خَيـلٌ مِـن بَعـدِ ذاكَ مَـعَ الغَـلا (م) قِ لا رَأَفَـــــــــةٌ وَلا إِبقـــــــــاءُ

وقد كررت مع الصفة كقول عنترة: [8]

وَمُـــدَجَّجٍ كَـــرِهَ الكُمـــاةُ نِزالَـــهُ لا مُمعِـــنٍ هَرَبـــاً وَلا مُستَســـلِمِ

أما إذا دخلت على الفعل المضارع فليست بحاجة إلى تكرار وتخلص المضارع بها للاستقبال[9]، كقول عمرو بن كلثوم:[1]

---

[2] شرح المعلقات السبع ص198.

[2]القيامة 31/75.

[3] حروف المعاني للزجاجي ص8.

[4] ديوان النابغة الذبياني ص 36.

[5] مغني اللبيب ص321

[6] البقرة68/2.

[7] شرح المعلقات السبع ص198.

[8] شرح المعلقات السبع ص175.

[9] مغني اللبيب ص322.

ومـــا شـــرُّ الثلاثـــةِ أمَّ عمـــرٍو بصـــاحبكِ الـــذي لا تُصْـــبَحِينَا

وكقول لبيد:[2]

لِمُعَفَّـــرٍ قَهـــدٍ تَنـــازَعَ شِـــلوَهُ غُـــبسٌ كَواسِـــبُ لا يُمَـــنُّ طَعامُهـــا

وتدخل على المضارع المجزوم بإحدى أدوات الشرط، كقول زهير:[3]

جَـريءٍ مَتـى يُظلَـم يُعاقِـب بِظُلمِـهِ سَـــريعاً وَإِلّا يُبـــدَ بِـــالظُلمِ يَظلِـــمِ

وقد دخلت بكثرة على :" مَنْ " الشرطية، كقول زهير: [4]

وَمَـن لا يَـذُد عَـن حَوضِـهِ بِسِـلاحِهِ يُهَـدَّم وَمَـن لا يَظلِـمِ النـاسَ يُظلَـمِ

وتدخل على المضارع المجزوم الواقع في جواب الشرط، كقول زهير:[5]

وَمَـن يـوفِ لا يُـذمَم وَمَـنْ يَهـدِ قَلبُـهُ إِلـــى مُطمَـــئِنِّ البِـــرِّ لا يَـــتَجَمجَمِ

وتأتي "لا" النافية معترضة:

1- **بين الجار والمجرور**، قال سيبويه :"واعلم أنَّ (لا) قد تكون في بعض المواضع بمنزلة اسم واحد هي والمضاف إليه، وذلك نحو قولك : "أخذته بلا ذنب"، و "غضبتُ منْ لا شيء"، و"ذهبتُ بلا عتادٍ"، والمعنى معنى ذهبت بغير عتاد وأخذته بغير ذنب"،[6]كقول طرفة:[7]

بِـــلا حَـــدَثٍ أَحدَثتُـــهُ وَكَمُحـــدِثٍ هِجـــائي وَقَـــذفي بِالشَـــكاةِ وَمُطـــرَدي

وقال الهروي: إنّ "لا" هنا بمعنى "غير"، فقولك: خرجت بلا زاد، أيْ بغير زاد، كقول الأسود بن يعفر:

تحيَّـــةَ مَـــنْ لا قـــاطعٍ حبـــلَ واصـــلٍ ولا صـــارمٍ قبـــلَ الفـــراق قرينـــا

---

[1] شرح المعلقات السبع ص140.

[2] شرح المعلقات السبع ص121.

[3] شرح المعلقات السبع ص97.

[4] شرح المعلقات السبع ص102.

[5] شرح المعلقات السبع ص101.

[6] الكتاب2 /302. وانظر مغني اللبيب ص322-323.

[7] شرح المعلقات السبع ص74.

أراد: تحية إنسانٍ غيرِ قاطعٍ حبلَ منْ يصله".[1]

2- **بين الناصب والمنصوب**، كقوله تعالى: ﴿**لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ**﴾[2].

وتأتي بين اسم "أن" المخففة من الثقيلة وخبرها، سواء كان الخبر جملة فعلية، كقول عنترة:[3]

وَلَئِن سَأَلتَ بِذاكَ عَبلَةَ خَبَّرَت أَن لا أُريدُ مِنَ النِساءِ سِواها

أم جملة اسمية، كقول طرفة: [4]

فَلَمّـــا رَأى أَن لا قَـــرارَ يُقِـــرُّهُ وَأَنَّ هَوى أَسماءَ لا بُدَّ قاتِلُه

3- **بين الجازم والمجزوم**، كقوله تعالى: ﴿**إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ**﴾[5]

كقول زهير:[6]

جَريءٍ مَتى يُظلَم يُعاقِب بِظُلمِهِ سَـــريعاً وَإِلّا يُبـــدَ بِـــالظُلمِ يَظلِـــمِ

وكقول طرفة:[7]

وَقالَ ذَروهُ إِنَّما نَفعُها لَهُ وَإِلّا تَكُفّوا قاصِيَ البَركِ يَزدَدِ

وتأتي "لا" زائدة لتوكيد النفي ,ذلك إذا سبقت بنفي واقترنت بالواو العاطفة، كقول زهير:[8]

كِرامٍ فَلا ذو الضغن يُدرِكُ تبله وَلا الجارمُ الجاني عَلَيهِم بِمُسلَمِ

وكقول لبيد[1]:

---

[1] الأزهية160-161،وانظر الأمالي الشجرية 230/2.

[2] الحديد 29/57.

[3] شرح ديوان عنترة ص144.

[4] ديوان طرفة ص122

[5]الأنفال73/8.

[6] شرح المعلقات السبع ص97.

[7]شرح المعلقات السبع ص78.

[1] شرح المعلقات السبع ص99

لا يَطبَعونَ وَلا يَبورُ فَعالُهُم إِذ لا يَميلُ مَعَ الهَوى أَحلامُها

وتدخل "لا" النافية في جواب القسم قبل الفعل المضارع كقول طرفة:[2]

فَآلَيتُ لا يَنفَكُّ كَشحي بِطانَةً لِعَضبٍ رَقيقِ الشَفرَتَينِ مُهَنَّدِ

وأجاز النحاة حذف "لا" النافية قبل الفعل المضارع الواقع في جواب القسم، كقوله تعالى: ﴿ **قالُواْ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ**﴾ [3].

وأجاز بعضُ النحاة إضمارها في غير جواب القسم، كقول خليفة بن براز:[4]

تنفكُّ تسمعُ ما حيي (م) ت بهالكٍ حتى تكونَهْ

قال البغدادي: "حرف النفي محذوف، والتقدير: لا تنفك. وظاهره أن حذف النافي، أي حرف نفي كان، يجوز حذفه من هذه الأفعال، سواء وقعت جوابَ قسم كالآية والبيت الذي بعده، أم لا كهذا البيت، فإنه لم يتقدمه شيء وهو الظاهر أيضاً من كلام الزمخشري في المفصَّل، ومن كلام ابن هشام في شرح الشواهد.

لكنَّ ابن يعيش قيَّد حرف النفي بكونه "لا"، وأنه لا يحذف من هذه الأفعال إلاَّ إذا وقعتجوابَ قسمٍ. قال: "إن حرف النفي قد يحذف في بعض المواضع، وإنما يسوغ حذفه إذا وقع في جواب القسم، وذلك لأمن اللبس، كقوله:[5]

تزالُ حبالُ مبرمات أعدَّها لها ما مشى يوماً على خُفِّهِ الجملُ

ولايجوز أن يحذف من هذه الحروف غير لا، لأنه لا يجوز حذف "لم"و"ما"، لأن "لم" عاملة فيما بعدها، ولا يجوز أن تحذف، وتعمل، وكذلك "ما" قد تكون عاملة في لغة أهل الحجاز".[6]

---

[2] شرح المعلقات السبع ص136.

[3] شرح المعلقات السبع ص76.

[4] يوسف12/ 85.

[5]شرح المفصل 109/7 ، وخزانة الأدب47/4 و233.

[5] البيت لامرأة سالم بن قحفان. المفصّل 354/1 . 355, وبلا نسبة في خزانة الأدب 4/ 48.

[6]خزانة الأدب 47/4 . 49 وانظر المفصّل للزمخشري 354/1 . 355 وشرح المفصّل لابن يعيش 109/7.

وأمَّا حذف النافي من الماضي ومن الجملة الاسمية فغير جائز اطراداً، ومن القليل قول أمية بن أبي عائذ الهذلي:[1]

فإنْ شِئْتِآليتُ بينَ المقا (م) مِ والرّكنِ والحجرِ الأسودِ
نسيتكِ ما دامَ عَقْلي معي أمدُّ بهِ أمدَ السَّرمدِ

أي: لا نسيتك.

وقال ابن مالك: "وقد يستغنى بالنافي المتقدم على القسم عن النافي المباشر للجواب كقول المتنخل [2]:

فلا واللهِ نادى الحيّ ضيفي هدواً، بالمساءةِ والعِلاطِ

أراد "ما نادى" فحذف "ما" استغناء عنها بـ"لا" التي قبل القسم"[3].

أمَّا البغدادي فقال إنَّ المحذوف "لا"، أي: لا نادى[4]"، ومثله قول قيس بن ذريح:[5]

فَلا وَالَّذي مَسَّحتُ أَركانَ بَيتِهِ أَطوفُ بِهِ فيمَن يَطوفُ وَيَحصِبُ
نَسيتُكَ ما أَرسى ثَبيرٌ مَكانَهُ وَما دامَ جاراً لِلحَجونِ المُحَصَّبُ

أي: لا نسيتك، وقول السموءل:[6]

وَقالوا إِنَّهُ كَنزٌ رَغيبٌ فَلا وَاللهِ أَغدِرُ ما مَشَيتُ

قال شارح ديوانه: "المعنى فلا والله لا أغدر، فترك "لا" لأنَّ المعنى يدلّ عليها".[7]

وجوَّز ابن مالك أن يحذف المنفي وأن يبقى حرف النفي فقال في قوله تعالى: ﴿**فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ**﴾[1]: "إنَّه نفي لقول الكافرين المخالف لما أقسم عليه فحذف المنفي وبقي حرف النفي كما يفعل في الجواب".[2]

---

[2]شرح أشعار الهذليين493/2، وشرح الكافية الشافية846/2، ومغني اللبيب 835، وخزانة الأدب231/4.

[3] البيت للمتنخل في اللسان(علط)، والعِلاطُ سمةٌ في العنق، يقال:علطَهُ بشرٍ إذا وسمَهُ ولطَّخه به.

[4] شرح الكافية الشافية851/2-852.

[5] الخزانة 231/4.وانظر شرحَ الكافية الشافية851/2-852.

[6]ديوانه ص24.

[7] ديوانه ص99.

[1]المصدر نفسه ص100.

ثالثاً.. "ما" النافية:

وردت في إحدى وعشرين موضعاً في خمسةَ عشرَ منها داخلة على الجملة الفعلية، ودخلت في ستة مواضع على الجملة الاسمية، في ثلاثة منها كانت عاملة عمل "ليس"، وفي ثلاثة كانت مهملة تميمية.

قسم النحاة هذه الأداة قسمين:

"**ما"الداخلة على الجملة الفعلية:** وهي لاعمل لها في الفعل لعدم اختصاصها به، قال الهروي: "وتكون جحداً كقولك: ما أكلتُ الخبزَ وما خرجَ زيدٌ، ولا موضعَ لها ههنا؛ لأنها حرف جحد".[3] بَيْدَ أنَّ المعنى الذي تتركه في الفعل يختلف باختلاف زمن الفعل الذي تدخل عليه، فإذا دخلت على الفعل الماضي تركته على معناه من المضي.

وقد وردت في شعر المعلقات في تسعة مواضع، كقول عمرو بن كلثوم:[4]

وَمـــا مَنَـــعَ الظَعـــائِنَ مِثـــلُ ضَـــربٍ تَرى مِنهُ السَواعِدَ كَالقُلينا

وكقول عنترة:[5]

ما زِلتُ أَرميهِم بِثُغرَةِ نَحرِهِ وَلَبانِـــهِ حَتّـــى تَسَـــربَلَ بِالـــدَمِ

وقال برجستر آسر: "ولأنَّ "ما" أحدثُ من "لا" خُصِّصَتْ بنفي أحدث أبنية الفعل؛ وهو (فَعَلَ) الماضي، فنفي الماضي القديم هو (لم يفعل) والحديث (ما فعل)"[6].

وإذا دخلت على الفعل المضارع خلّصته للحال، قال ابن يعيش: "فأما "ما" فإنها تنفي ما في الحال، فإذا قيل (هو يفعل)، وتريد الحال، فجوابه ونفيه (ما يفعل)، كذلك إذا قربه قال (لقد فعل) ، فجوابه ونفيه (ما فعل)"[7]، ومن نفي الحال قول لبيد[8]:

---

[2] الواقعة75/56.

[3] شرح الكافية الشافية852/2، وانظر حروف المعاني ص 8.

[4]الأزهية، ص78.وانظر حروف المعاني ص 54.

[5]شرح المعلقات السبع ص 158.

[6]شرح المعلقات السبع ص180.

[6]التطور النحوي ص174.

[1]شرح المفصل لابن يعيش107/8.

[2] شرح المعلقات السبع ص109.

فَوَقَفتُ أَسأَلُها وَكَيفَ سُؤالُنا صُمّاً خَوالِدَ ما يُبينُ كَلامُها

وقول عمرو بن كلثوم:[1]

نَجُــذُّ رُؤوسَــهُم فــي غَيــرِ بِــرٍّ فَما يَدرونَ ماذا يَتَّقونا

"ما" الداخلة على الجملة الاسمية: وللعرب فيها مذهبان؛ مذهب أهل الحجاز، ومذهب بني تميم وغيرهم من العرب ماعدا الحجازيين.

أ- **"ما" الحجازيـة:** أعمل الحجازيون "ما" عمل "ليس" بشروط يعرفها أهل العلم، أهمها: ألاّ ينتقض خبرها بإلاّ، وألاّ يتقدم خبرها على اسمها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**مَا هَذَا بَشَراً**﴾[2] وقوله:﴿**مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ**﴾[3].

وقال السيوطي:" لم تقع "ما" في القرآن إلاَّ على لغة أهل الحجاز خلا حرفاً واحداً، وهو: ﴿**وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ**﴾[4] على قراءة حمزة، فإنها على لغة تميم"[5]، وكقول امرئ القيس: [6]

أَلا أَيُّهــا اللَيــلُ الطَويــلُ أَلا اِنجَلــي بِصُبحٍ وَما الإِصباحُ مِنكَ بِأَمثَلِ

إنّ إعمال "ما" عمل "ليس" لا يدلل على أنهما متماثلتان في النفي تماما، فقد قال سيبويه: "إذا قال: (فعل) فإنَّ نفيه (لم يفعلْ)، وإذا قال: (قد فعلَ) فإنَّ نفيه (لمَّا يفعلْ)، وإذا قال: (لقد فَعَلَ) فإنَّ نفيه (ما فَعَلَ)؛ لأنَّه كأنَّه قال: والله لقد فعل، فقال: "والله ما فعل".[7] وهذا يدللُ على أنَّها تحملُ في معناها معنى التوكيد؛ فهي جاءت جواباً لـ "قدْ" فكما أنّ (قدْ) فيها معنى التأكيد فكذلك ما جُعِلَ جواباً لها.[8]

---

[3]شرح المعلقات السبع ص148.

[4] يوسف31/12.

[5] المجادلة58/ 2.

[6] النمل81/27.

[7] الأشباه والنظائر121/2-122.وانظر الدر المصون641/8-642.

[6]شرح المعلقات السبع ص27.

[1]الكتاب117/3.

[2] انظر الإتقان في علوم القرآن244/2.

وقال الدكتور السامرائي: "إنَ الجمل التي تحتاج إلى توكيد كثير استعملها القرآن منفية بما، ولم يرد مثل هذا التعبير في القرآن منفياً بـ "ليس"...، والذي يدل على أنها تفيد التوكيد أنها تقع جواباً للقسم، نحو: "واللهِ ما زيدٌ بحاضرٍ... ولم ترد "ليس" في القرآن الكريم جواباً للقسم البتة فدل ذلك على أنها آكدُ من "ليس" في النفي"" [1].

ومن مجيء ما في جواب القسم قول زهير[2]:

لَعَمرُكَ ما جَرَّت عَلَيهِم رِماحُهُم دَمَ اِبنِ نَهيكٍ أَو قَتيلِ المُثَلَّمِ

وقول طرفة:[3]

لَعَمرُكَ ما أَمري عَلَيَّ بِغُمَّةٍ نَهاري وَلا لَيلي عَلَيَّ بِسَرمَدِ

والأغلب في "ما" الحجازية أن يأتي خبرها مؤكداً بالباء الزائدة، وقد ورد خبرها مقترناً بالباء الزائدة في ستة وسبعين موضعاً في القرآن الكريم[4]،كقوله تعالى: ﴿**وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[5]، وكقوله تعالى: ﴿**مَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾[6]

ولم يرد خبر"ما" في شعر المعلقات إلا مقترناً بالباء الزائدة، كقول امرئ القيس[7]:

أَلا أَيُّها اللَيلُ الطَويلُ أَلا اِنجَلي بِصُبحٍ وَما الإِصباحُ مِنكَ بِأَمثَلِ

ب- **"ما" التميمية:** وهي التي تدخل على الجملة الاسمية فتحدث أثراً معنوياً فحسب، ولا تحمل أثراً إعرابياً شأنها في ذلك شأن "ما" الداخلة على الجملة الفعلية، فهي حرف غير مختص، وقد وردت "ما" التميمية في القرآن الكريم وفق صورتين، الأول منهما أن يكون المرفوعُ بعدها معرفةً والخبرُ مقترنٌ بـ "إلاَّ" كقوله تعالى: ﴿**مَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ**﴾[8]، وكقوله:﴿**ما أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا**﴾ [1]، وكقول زهير[2]:

---

[3]معاني النحو 1/236-237، وانظر الأشباه والنظائر2/121.

[4] شرح المعلقات السبع ص98.

[5] شرح المعلقات السبع ص80.

[6] معاني النحو1/ 234-235.

[7]البقرة 2/ 74.

[8]ق 50/ 29.

[9] شرح المعلقات السبع ص27.

[1] آل عمران3/144.

وَمــا الحَــربُ إلّا مــا عَلِمــتُم وَذُقــتُمُ وَما هُوَ عَنها بِالحَديثِ المُرَجَّمِ

والأخرى أن يكون المرفوعُ بعدها نكرةً ومسبوقاً بـ"من" الزائدة، وقال الدكتور السامرائي: "وردت ما في القرآن في واحدٍ وتسعين موطناً، مرفوعها نكرة وكلها دخلت عليها من الزائدة الدالة على الاستغراق والتوكيد"[3]، كقوله تعالى: ﴿**مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ**﴾[4]، وكقوله: ﴿**وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**﴾[5].

أما في المعلقات فقد جاء مرفوعها نكرةً غيرَ مسبوقةٍ بـ "من" الزائدة في قول امرئ القيس:[6]

فَقالَــت يَمــينَ اللهِ مــا لَــكَ حيلَــةٌ وَما إِن أَرى عَنكَ الغِوايَةَ تَنجَلي

وقول الحارث بن حلزة: [7]

وَفَعَلنــا بِهِــم كَمــا عَلِــمَ اللهُ (م) وَما إِن لِلحائِنينَ دِماءُ

وثمة أمر مهم؛ وهو أن زيادة الباء ليست محصورة بـ"ما" الحجازية. فالباء تزاد بعد "ما" التميمية، كقول الشاعر: [8]

لو انَّك يا حسينُ خُلِقْتَ حراً وما بالحرِّ أنتَ ولا الخليقِ

فقد قال البغدادي: "والصحيح أنها تزاد في خبر"ما" على اللغتين . حجازية وتميميَّة . وهو ظاهر كلام سيبويه"[9]، وتزاد أيضاً في خبر "ما" النافية المكفوفة بـ"إنْ " الزائدة اتفاقاً، كقول المتنخل الهذلي:[10]

---

[2] يس15/36 .

[3] شرح المعلقات السبع ص93.

[4]معاني النحو1/ 234-235.

[5]البقرة 102/2.

[6]البقرة 270/2

[7]شرح المعلقات السبع ص170.

[8]شرح المعلقات السبع ص193.

[9]الشاهد بلا نسبة في الخزانة133/2 .

[1] خزانة الأدب133/2، وانظر الكتاب 316/2.

[2] شرح أشعار الهذليين1276/3، وخزانة الأدب133/2-135.

لَعَمرُكَ ما إنْ أَبو مالِكٍ بِوانٍ وَلا بِضَعيفٍ قُواه

و"ما" النافية لها صدر الكلام فلا يعمل ما قبلها فيما بعدها، ولذلك تعدُّ من معلّقات الفعل القلبي عن العمل[1]، نحو قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ**﴾[2].

ويجوز حذف "ما" النافية بقلة، كقول تميم بن مقبل:[3]

لعمرُ أبي دهماء زالتْ عزيزةً على قومِها ما فتَّل الزّندَ قادحُ

يريد: ما زالت عزيزة.

قال ابن هشام إنَّ ابن معطٍ ذكر ذلك في جواب القسم، ونقل عن ابن الخباز قوله: وما رأيت في كتب النحو إلاَّ حذف "لا"، ولا يجوز حذف "ما" لأنَّ التصرّفَ في "لا" أكثرُ من التصرّفِ في "ما"[4].

يجوز نفي الجنس بـ "ما" متصلة بمنفيها أو منفصلة عنه[5]، كقوله تعالى: ﴿**فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ**﴾[6].

يندر تركيب "ما" النافية مع النكرة تشبيهاً لها بـ "لا" كقول الشاعر:[7]

وما بأسَ لوْ ردَّتْ علينا تحيةً قليلٌ على منْ يعرفُ الحقّ عابُها

من كل ما سبق نصل إلى أنَّ حرفي النفي "ما" و"لا" هما الأكثر دوراناً في شعر المعلقات، بل هما الأكثر استعمالاً لدى العرب قديماً وحديثاً، بيد أنَّ هناك نقاطَ توافقٍ بينهما ونقاطَ اختلافٍ، ولابدَّ في نهاية هذا البحث أن نبيّن هذه النقاط.

وثمة أمر آخر وقفت عليه من خلال دراسة شعر المعلقات؛ وهو أنَّه لم يستعمل من وجوه "لا" و "ما" إلاَّ ما كان متداولاً بكثرة بين العرب، فلم أقف في شعرهم على "لا" العاملة عمل "ليس"، ولا على "لا" العاطفة أو على "لا" التي تكون حرف جواب، ولم أقف

---

[3] شرح ابن عقيل2 /50.

[4] الأنبياء 65/21.

[5] ديوان ابن مقبل 359، و مغني اللبيب ص513، وخزانة الأدب 45/4-46.

[6] مغني اللبيب ص835-836.

[7] معاني النحو341/1.

[8] الشعراء 100/26

[9] بلا نسبة في الجنى الداني ص330والقاموس المحيط (ما)411/4.

على أي موضع حذف فيه "ما" أو "لا" النافيتين، مما يؤكد أنَّ شعراء المعلقات استخدموا في معلقاتهم المطرد قي القياس والاستعمال من كلام العرب.

نقاط التشابه ونقاط الاختلاف بين "لا" و "ما" النافيتين:

نخلص من دراسةِ كلٍّ من "لا" و "ما" النافيتين إلى ما يأتي:

أولاً: **نقاط التشابه:**

1- كلتاهما حرفٌ لا محلَّ له من الإعراب.

2- كلتاهما تدخلُ على الجملة الفعلية والجملة الاسمية.

3- كلتاهما تعملُ عملَ "ليس" بشروط.

4- كلتاهما تأتي في جواب القسم.

5- كلتاهما لا تعمل في الجملة الاسمية إذا تقدم الخبرُ على المبتدأ.

ثانياً: **نقاط الاختلاف:**

1- تستعملُ "لا" لنفي الحاضر والمستقبل، ودخولها على الماضي قبيح، أمَّا "ما" فتستعمل لنفي الماضي والحاضر، فـ"ما" إنْ دخلت على المضارع خلَّصته للحال، أمَّا "لا" فتخلِّصه للاستقبال.

2- تأتي "لا" جواباً لسؤالٍ حاصلٍ أو مقدَّرٍ، فقولك: "لا رجلَ في الدَّارِ" جوابٌ على مَنْ سأل: "هل منْ رَجُلٍ"؛ وهو إعلامٌ للمخاطب بما لم يكن يعلم.[1]، أمَّا " ما " فهي ردٌّ على قولٍ أو تصحيحُ ظنٍّ، فقولك: "ما من رجلٍ في الدار" ردٌّ على مَنْ قال: "إنَّ في الدارِ رجلاً".

3- تعدُّ "لا" أقدم أدوات النفي وفق ما قاله برجستر آسر، واشتق منها بعض الأدوات مثل "لات"، أمَّا "ما" فلم يشتق منها العرب أيَّ أداة أخرى، واستعملها العرب في مرحلة متأخرة عن استعمال "لا".

4- "لا" ليس لها الصدارة، أمَّا "ما" النافية فلها الصدارة.

5- "لا" لها خمسة أوجه؛ نافية للجنس، عاملة عمل "ليس"، عاطفة، حرف جواب، نافية مهملة، أمَّا "ما" فلها وجهان، حجازية وتميمية.

---

[1] معاني النحو ص341.

6- "لا" العاملةُ عَمَلَ "ليس" عملُها قليلٌ، أمَّا "ما" العاملةُ عَمَلَ "ليس" فمستعملةٌ بكثرة.

7- "لا" العاملةُ عَمَلَ "ليس" الغالبُ فيها أن يكونَ خبرُها محذوفاً، أمَّا "ما" العاملة عَمَلَ "ليس" فلا يجوزُ حذفُ خبرِها.

8- "لا" النافيةُ للجنسِ يجوزُ حذفُ اسمها بقلَّة، نحو: "لا عليكَ"، أي: لا بأسَ عليك، أمَّا "ما" العاملة عَمَلَ "ليس" فلا يجوز حذف اسمها.

9- يجوز دخول الباء الزائدة على خبر "ما" الحجازية العاملة عمل "ليس" بكثرة، ودخولها على خبر "لا" العاملة عمل "ليس" نادر.

10- تزاد "إنْ" النافية بعد "ما"، ولا يجوز زيادتها بعد "لا".

11- يشترطُ في "لا" العاملة عَمَلَ "ليس" أن يكون اسمها وخبرها نكرتين، ولا يشترط ذلك في "ما".

12- تحذف "لا" الداخلة في جواب القسم بكثرة، أمَّا "ما" الداخلة في جواب القسم فلا يجوز حذفها أو تحذف بقلَّة.

13- يجوز إضمار "لا" النافية في غير جواب القسم بقلَّة، أمَّا "ما" فلا يجوز إضمارها، فقد تكون عاملةً بلغة أهلِ الحجاز.

14- لا تدخلُ "لا" على الماضي إلا مكرَّرة، وإذا لم تكررْ دلَّت على دُعَاء، لا على نفي، أمَّا "ما" فتدخل على الماضي ولا تحتاجُ إلى تكرار.

15- تأتي "لا" حرفَ جوابٍ، ويجوزُ حذفُ الجملة بعدها، أمَّا "ما" فلا تكونُ حرفَ جواب، ولا يمكن حذف الجملة بعدها.

16- يجوز أن نؤكِّد "ما" النافية بـ "لا"، كقولنا: "ما جاءَ زيدٌ ولا خالدٌ"، ولا يجوز العكس، فلا يصح قولنا: "لا جاء زيدٌ وما خالدٌ".

17- إذا وقع الفعل المضارع جزاءً وسُبِقَ بما النافية فإنّه لا يجزمُ؛ لأنَّ "ما" لها الصدارة، فلا يعمل ما قبلها فيما بعدها، أمَّا إذا سبق بـ "لا" فإنه يجزم.

18- يجوز دخول لام الابتداء على "ما" بقلَّة تشبيهاً لها بـ "ما الموصولية"، ولا يجوز دخولها على "لا".

19- يجوز دخول "لا" بين الخافض والمخفوض، وبين الجازم والمجزوم، وبين الناصب والمنصوب، وبين التابع والمتبوع, ولا يجوز ذلك في "ما"، فدخول "ما" على "كي" تكفها عن العمل، أما دخول "لا" فلا يؤثر في عملها.

20- لا تنفي "لا" الجنس نصاً إلا متصلة به ؛ لأنَّ "لا" ومنفيها بمنزلة كلمة واحدة، ولا يصحُّ الفصلُ بينهما، على حين يستطاعُ نفيُ الجنس بـ "ما" متصلة بمنفيها أو منفصلة عنه.

21- تتركب "لا" مع النكرة بكثرة، ويندر تركيب "ما" مع النكرة تشبيهاً لها بـ "لا".

22- تستعمل "لا" مع الظرف "أبداً"، نحو: "لا أكلمه أبداً". وتستعمل "ما" مع الظرف "قطَ"، ولا يجوز استعمال "لا" معه، فقولنا: "لا أكلمه قطُّ" لحنٌ فاحشٌ، والصواب: "ما كلمته قطُّ".

23- يمكن أن ننحت "لا" مع الكلمة التي بعدها ويصبحان بمنزلة كلمة واحدة، نحو: "لاسلكي"، ولا يجوز ذلك مع "ما".

وبعد:

فإنَّ هذه الفروقات التي وقفت عليها تبيِّن بوضوح أنَّ العربَ وعوا وعياً دقيقاً معنى كلّ أداة وفصاحتها في السياق الذي تأتي فيه.

فهرس المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.

2- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، 1407هـ-1987م.

3- الأزهية في علم الحروف، لعلي بن محمد الهروي، تحقيق عبد المعين اللملوحي، مجمع اللغة العربية في دمشق، ط2، 1401هـ-1981م.

4- الأشباه والنظائر، لجلال الدين السيوطي، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1406،1 هـ-1985م.

5- إعراب لامية الشنفرى لأبي البقاء العكبري، تحقيق: محمدأديبعبد الواحدجمران، المكتبالإسلامي - بيروت ط1، 1984

6- أمالي ابن الشجري، لأبي السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي، دار المعرفة، بيروت.

7- التطور النحوي للغة العربية، برجستر آسر، تصحيح وتعليق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1414هـ -1994م.

8- التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1408هـ، 1988م.

9- حروف المعاني للزجاجي، تحقيق د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة بيروت ودار الأمل عمان، ط2، 1406هـ-1986م.

10- خزانة الأدب، للشيخ عبد القادر البغدادي، دار صادر، بيروت.

11- الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي، تحقيق د. فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1 1413،1هـ-1992م.

12- الدر المصون للسمين الحلبي، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، دار القلم دمشق، ط1993،1م.

13- ديوان تميم بن مقبل، تحقيق عزة حسن، مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد القومي في سوريا، دمشق، 1962.

14- ديوان السموءل، صنعة أبي عبد الله نفطويه، تحقيق وشرح د. واضح الصمد، دار الجيل، بيروت، ط1،1416هـ-1996م.
15- ديوان طرفة بن العبد، تحقيق درية الخطيب ولطفي السقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق،1975م.
16- ديوان قيس بن ذريح، جمعه وحققه وشرحه د.نايف حاطوم، دار صادر بيروت، ط1،1998م.
17- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، ط2،2005م.
18- شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، انتشارات لقاء، قم، إيران، 1375هـ.
19- شرح أشعار الهذليين، صنعة أبي سعيد السكري، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار العروبة، القاهرة.
20- شرح ديوان عنترة بن شداد، مطبوعات مكتبة الحضارة، دمشق،1377هـ -1957م.
21- شرح الكافية الشافية، لابن مالك الطائي الجياني، تحقيق د. عبد المنعم هريدي، دار المأمون للتراث، ط1،1402هـ-1982م.
22- شرح المعلقات السبع للزوزني، صححها عبد رب النبي سعيد الحسيني، مكتبة التوفيق، القاهرة، 1354هـ.
23- شرح المفصل، لابن يعيش النحوي، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المتنبي القاهرة.
24- شعر النابغة الجعدي، تحقيق عبد العزيز رباح، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1964م.
25- الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط2، 1418هـ- 1998م.
26- طبقات فحول الشعراء، لابن سلام الجمحي، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
27- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة النوري للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1987م.

28- الكتاب لسيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1.
29- لسان العرب، لابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت.
30- المسائل الحلبيات، لأبي علي الفارسي، تحقيق د.حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1, 1407هـ - 1987م.
31- معاني القرآن للفراء، تحقيق أحمد نجاتي ومحمد علي النجار، دار السرور، 1955م.
32- معاني النحو، تأليف الدكتور صالح فاضل السامرائي، دار الفكر، عمان، ط3، 1429هـ-2008م.
33- مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري، تحقيق د.مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، طبعة جامعة حلب، بلا ت.
34- المفصل في صنعة الإعراب، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: د.علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ط1، 1993م.

****

****

*****